

روح المعاني

بمعنى أوله اللهم إلا أن يقال : إنه وإن لم يكن نصا لكنه ظاهر قريب من النص لأن كون الوجه بمعنى الجهة المذكورة وإن جاء في اللغة إلا أن كون الفور كذلك في حيز المنع وإحتمال كونه من وجه الدهر بمعنى أوله يرجع إلى ما قالوا فتدبر .

وأعلم أن هذا الإمداد وقع تدريجا فكان أولا بألف ثم صاروا ألفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف لا غير فمعنى يمددكم بخمسة آلاف يمددكم بتمام خمسة آلاف وإليه ذهب الحسن وقال غيره : كانت الملائكة ثمانية آلاف فالمعنى يمددكم بخمسة آلاف آخر مسومين 521 من التسويم وهو إظهار علامة الشيء و المراد معلمين أنفسهم أو خيلهم وقد أختلفت الروايات في ذلك فعن عبداً بن الزبير أن الزبير كانت عليه عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة وعليهم عمام م صفراء وأخرج ابن إسحاق والطبراني عن ابن عباس أنه قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيض قد أرسلوها في ظهورهم ويوم حنين عمام حمراء وفي رواية أخرى عنه لكن بسند ضعيف أنها كانت يوم بدر بعمام سود ويوم أحد بعمام حمراء .

وأخرج ابن أبي شيبة وغيره عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض في نواصي الخيل وأذنانها وكانوا كما قال الربيع على خيل بلق وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنهم كانوا مسومين بالعن الأحمر وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال : كانوا معلمين مجزوزة أذنان خيولهم ونواصيها فيها الصوف والعن وأنت تعلم أنه لا مانع من أن يكونوا معلمين أنفسهم وخيولهم أيضا وهذا على قراءة ابن كثير : وأبي عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو وأما على قراءة الباقيين مسومين بفتح الواو على أنه أسم مفعول فقليل : المراد به معلمين من جهة الله تعالى وقيل : مرسلين مطلقين ومنه قولهم : ناقة سائمة أي مرسلة في المرعى وإليه ذهب السدي والمتبادر على هذه القراءة أن الإسماء لهم وأما أنها كانت لخيولهم فغير ظاهر وما جعله الله أي الإمداد المفهوم من الفعل المقدر المدلول عليه بقوة الكلام كأنه قيل : فأمدكم الله تعالى بما ذكر وما جعل الله تعالى ذلك الإمداد إلا بشرى لكم وقيل : الضمير للوعد بالإمداد وقيل : للتسويم أو للتنزيل أو للنصر المفهوم من نصركم السابق ومتعلق بالبشارة غيره وقيل : للإمداد المدلول عليه بأحد الفعلين والكل ليس بشيء كما لا يخفى والبشرى إما مفعول له وجعلت متعديا لواحد أو مفعول لها إن جعلت متعديا لإثنين وعلى الأول الإستثناء مفرغ من أعم العلل أي وما جعل إمدادكم بإنزال الملائكة لشيء من الأشياء إلا البشارة لكم بأنكم تنصرون وعلى الثاني مفرغ من أعم المفاعيل أي وما جعله الله تعالى شيئا من الأشياء إلا بشرى لكم .

والجملة إبتداء كلام غير داخل في حيز القول بل مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل عن التأثير بدون إذنه سبحانه وتعالى فإن حقيقة النصر مختص به عز اسمه ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وأماراته وهي معطوفة على فعل مقدر كما أشرنا إليه ووجه الخطاب نحو المؤمنين تشريفا لهم وإيدانا بأنهم هم المحتاجون لما ذكر وأما رسوله صلى الله عليه وسلم فغني عنه بما من به عليه من التأييد الروحاني والعلم الرباني ولتطمئن قلوبكم به أي ولتسكن قلوبكم بالإمداد فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عدكم وهذا إما معطوف على بشرى بإعتبار الموضع وهو كالمعطوف عليه علة غائية للجعل إلا أنه نصب